ثقافة وادب

ادب الخامس من حزيران وكل يوم ..

احدهم يقول : « سيكون وصفي لزهرة ، وصفا تزيينيا وجماليا مفرغا ، اذا لم يكن لدي موقف واضح محدد ، من الخيانة الزوجية ، مثلا ».. وكان بيكاسو قد قال يوما وعن حق : « بغيـر البندقية استطيع ان اعبر عن المقاومة ، برسمي تفاحة ، مثلا ... »

ومنذ هزيمة حزيران ، والنقاد العرب يفتشون بحمية وغيرة عن اثر اليوم المشهود في نتاج الكتاب العرب ، اثر احتلال اراض عربية جديدة ، وهزيمة الجيوش العربية التي اشتركت في تلـك الحرب ، والتي « لم تشترك » .

وسرعان ما تحولـت الانظار الى المقاومـة الفلسطينية ، باعتبارها نقطة تحول وانعطـاف مصيري . وايضا سرعان ما تدفقت النمـاذج القصصية والشعرية ، التي « فجر كوامنها » ذلك الحدث العظيم ، لكن ذلك النزف استمر لاقل من سنتين . ولم تلبث ان انحسرت تلك الموجة التي رات في العمل الفدائي : فروسية عسكريـة تاريخية . انحسرت وذهبت مثل الزبد ، جفاء ، وذهبت معها تلك المواهب « المؤقتة » والنجائية .

اما اولئك النقاد الذين لا حيلة لهم ، سـوف التحريض الاخلاقي على الالتزام بالواقع وعـدم الانسلاخ عنه ، وتاريخ المعارك البطولية التـي تخو ضها امتنا ، فقد آن لهم ان يسكتوا . لان الواقع اولا ابعد ، كما يقال ، من ارنبـة انوفهم . ولان واقع الصراع مع اسرائيل ، هو اقـرب من الاصطدام المباشر ـ غير الحاصل رسميا ـ معهـا .

ان ذلك الصراع يتخذ تعبيراته الملموسة ، في الحياة اليومية لجماهيرنا . في تناقضها مـع الانظمة التي تمنعها من القتال ، وتمنع عنهـا الكرامة الوطنية ، وتمنع اشواقها الى الخبـز والديمقراطية من ان تتحقق . كما ان ذلـك الصراع يعبر عن نفسه ، بتناقض حاجات وتطلعات جماهيرنا ، مع الثقافات السائدة التي تفرزها الطبقات السائدة (ارادة الاستعمار من ارادة الله ، كما في ادبيات الانظمة الرجعية) . بصراع جماهيرنا مع قيم التخلف ومنوعات القمع التي تعرضها انظمة الهزيمة ، في وجه تسرب قيـم المجتمعات الاشتراكية .

ان ادبنا الثوري يقف عند هذه الموضوعات ، ويشتبك معها يوميا ، ويعانيها كل لحظة ، ويجهد في ان يعبر عنها .
لكن نقادنا المفجوعين من الخامس من حزيـران يديرون ظهرهم لكل ما عدا ارادة القتال والبطولة.. اياها ، التي « تأكدت » من اربعة اعوام .
ان الحديث عن ادب مقاومة ، معزولا عن البنية الطبقية لمجتمعاتنا وانظمة حكمها ، اشبه باللغو.

فثمة العلاقة الشائكة المعقدة ، والعميقة بيـن التحرر الوطني الداخلي الناجز ، وبين التناقض مع الاستعمار الاجنبي . وفي هذا المجال ، يجدر القول ردا على المتسائلين عن سبب عدم ظهـور اعمال فلسطينية تمثل ماساة فلسطين وارادة المقاومة فيها ، بان الفلسطينيين عانوا ويعانون من الاحتلال الصهيوني ، كما لم يعان شعـب محتل اخر ، حيث اكثر من نصفهم محتل ، خارج ارض الاحتلال . وحيث تناقضهم مـع العدو التقليدي ، يعبر عن نفسه بتناقضات يومية في « المنافي » ، ادى تراكمها الى اتخاذها شكل تناقض اساسي .
ويبقى للاديب والفنان الثوري ان يعبر بواسع عيونه ازمة الحياة اليومية التي تعانيها جماهيرنا ، من مواقع الجماهير . وعندها نستطيع ان نشهد على المقاومة الصاعدة من تحت ، ونشارك في عبير الحياة العربية ، المهلوبة ، والصعبة .

(المحرر)

« وشم على ذراع خضرة » :

شفافية الموضوع وغنائية الموقف

بين الشعر الذي انتشر منذ اربعة اعوام ، غداة هزيمة حزيران ، يحتل ديوان وليد سيف « وشم على ذراع خضرة » مكانة فريدة ومتقدمة ، تجعله في الصف الاول من الشعر الفلسطيني . فقد تمكن هـذه المرة ، ان ينتقل من الشفافية المجانية والغنائية اللفظية كما في ديوانه الاول « قصائد في زمـن فتح » الى شفافية الموضوع ، وغنائية الموقف . بذلك تحولت اشعاره الى استيعاب عميق لهذه الخصائص الفنية ، عوض الاتكاء عليها كاسباب اساسية للعملية الفنية ، في غيبة الحضـور العضوي لمادة القصيدة : الرؤيا التي يحملهـا ويكتنفها الموضوع . بذلك ايضا ، بدأ شعر وليد سيف يخرج من « الوهم الشائع » القائل بان القصيدة هي محض غناء ، وان الغناء لا يحتمل اكثر من العزف المنفرد على القلب ، والذي يرفض الاجابة على سؤال حيوي مثل « ماذا تقـول القصيدة ؟ » . لقد كان للارتداد نحو الغنائية العفوية ، اسباب ترجع الى سيادة منوعـات الشعر الجديد التي تعتمد تفتيت الحس ، ونشر الانفعال . والى الرغبة في الخروج من هذه الحلقة المقفلة ، حيث لا يفقد الشعر فقط خصيصتـه الاساسية كلغة للاثارة الشعورية و « الحسية » ، بل يفقد الى ذلك « شرف »الرؤيا ، اذ ينزلق الى « الصدق » السطحي ، الذي يعبر عن نفسه باطلاق الثائرات الثقافية الشكلية ، دون تمثل. ولكن مقابل ذلك ، شاع وهم اخر وهو تجريب البساطة (الانتقال الى منطقة ريف الشاعر ..) ، لكن هذه البساطة ، سرعان ما تقع في السذاجة، اذ تستعير التقرير من النماذج الحديثة (كتوكيد على المباشرة العفوية والخطابة القلبية) ، ومـن جهة اخرى تترك القصيدة نهبا لفراغ الموضوع وهشاشته . باعتماد هذا المنحى كان الشعر يغادر طبيعته ، كاحتجاج على ما هو كائن (ماركوز) ، ويفقد امتياز النبوة التي تنهض على اعتمـاد دفع القوى التاريخية وكفاحها .

ووليد سيف في « وشم على ذراع خضرة » ، يجهد في ان يحتفظ بغنائية لا تسقط في كـل البساطة ولا ترزة العذوبة . وفي الوقت ذاتـه ترسم قسمات خاصة للوطن « الفاتن » تستمد ايقاعها من دخول الفلسطيني في تجربة المـوت « الاخضر » . الموت المشبوب بالبطولة والحياة . وجهد الشاعر جدير (او قمين ..) بالترحـاب كما سنرى .

تعتمد قصائد الديوان في معظمها على النشيـد الفردي ، الذي يؤديه « الفارس » (صـوت الشاعر) . وليس يكفي ، القول بان الفـارس هو عاشق الارض . ذلك انه يستعير ويتقمص اصوات غيره من ابناء الوطن ، ويمزج صوتـه المتفرد بالصوت الجماعي ، الامر الذي لا يجعل القصيدة متعددة الاصوات فحسب ، ولكنـه يضفي على قرارة صوت الشاعر ، نبرة الجماعة واحتشادها . وهذا من شانه ان ينقذ القصيدة من « الزخم الرومانسي » الذي يجعل الشاعر يقف خارج موضوعه . خارج الوطن . الشاعر مقابل الوطن ، الوطن بالنسبة الى الشاعر (اي بالنسبة الى فرديته) .

مغنونا بالموت
استسلم للمطر اللاذع والاعشاب
من يحمل عني هذا الفرح الوحشي
هذا العشب الطالع من جرحي السري
...
خلف طيون الفرح الحارق
يستسلم احد الابطال
تسقط كفي في هوة وادي
مثقلة بالخضرة والموت !!

قد تصدم بعضناهنا قولة الشاعر «يستسلم..» مقرونة باحد الابطال ، اذا اراد ان يعزل هـذا الوصف المرير عن مجمل الصورة . ان البطل واقع في هوى وطنه الذي يلهب مشاعره . وهو اذ يموت ، فانه يجرد من شخصه شخصا اخر : تسقط كفه ممثلة بالخضرة والموت . والشخص الاخر هو الفدائي الدائم القيامة ، الذي يلازم عنده الموت والحياة . ذلك ان البطل ليس فارسا معزولا ، بل هو جزء من جسم الوطن ، ذلك اقترن « استسلام » هذا الجزء من الجسم بسقـوط كف صاحب الصوت ، الى وادي الخضرة والموت. حيث ينشق الموت ابدا ، عن حياة جديدة واخضرار اخر .

●

في قصيدته « اعراس » لجأ الشاعر الـى استخدام رموز فولكلورية ، واتخذ من اهم عناصر الفولكلور « الاغنية الشعبية » مادة لقصيدتـه. زيد الياسين ابن القرية ، الرجل الفلاح ، ضمير بطولة الشعب . خضرة ، ابنة القرية ، الصبية التي تتقاسم مع الارض ، حياة الفلاح وا شواقه .

« زيد الياسين »
سكونا بالزعتر والمأساة
سكونا بعصافير الد
وبعض وجوه الموتى
...
وهي على الشرفة تحلم
خضراء الشعر وخضراء الشفتين
توقد في صمت القرية اسطورة
. تنحل وذاذا اخضر
في قلب الناطور النائم
وتخط على كل الحيطان ...
موال فتوة ،
عن موسم عام قادم

وسيكون لنا ان نعرف ذلك الحوار الزاخر القديم بينهما . فبعد ان يبدأ الشاعر حكايتـه « بالتعريف » بهما ، وجمعهما معا دون تقابل . تبدأ العلاقة بين الرجل والصبية تتكشف .

حين تعرت في ضوء القمر الفجري
نقر الدوري من النبابة فتة
وجرى الغيم على قطره الريح الشتوية
حين تعرت
وانتحر الشال على القدمين
خرج الليل من صمت الجدران .

ما الذي يبرر استخدامه لتعري الصبيـة ، للتعبير عن « العلاقة الصعبة » بينها وبين زيد الياسمين ؟

ان الشاعر في ظني ، يستخدم ذلك للتدليل عن العشق القائم بينهما : الصبية تتعرى في هداة طلوع القمر ، اذاً الرجل في لحظة الاشتيـاق الجامح لها . الصبية تتعرى ، اذاً الرجـل بعيد عنها . اي انه يكافح للوصول اليها ، ان الشاعر بذلك ، انما يريد بالدرجة الاولى ان يعري العالم الداخلي لزيد الياسمين ، حيث هو في لحظة النفي والانقطاع عنها . وحيث هـو يناضل للاجتماع بشقه الثاني : الصبية فرح القرية . والقرية المليئة باسرارها العميقة .

لست قدماها صرع الارض العطشانة
فسما الصاع السري على كل الجدران
وفار العرق الدافيء فوق الحدس
« يا خضرة »
ما زالت تركض خضرة
اجمل ما كانت تركض مهرة .

قد تكون المراة هنا نموذجا لصبية القريـة ، الحلوة المشقوفة . لكنها اذ تتوقف عند هـذا الشأن ، تصغر القصيدة الى قصيدة غزل ، على ان تبيان الشاعر للعلاقة القائمة بين المراة واشياء القرية ، سرعان ما يطرد هذا الوهم . ان خضرة ، هي سبب خضرة اشياء القرية وهي سر حركتها ، وقلب نهوضها ، وخيرها . بعد ذلك تتوقف الحكاية بعد ان تعود خضرة الى النبابة (مكان جمع قش القمح والعنطة) اما زيد الياسمين ، فقد ادى به تفتيشه عنها ، وحواره السري المحرور معها الى الاقتراب من المخفر . المخفر القريب من القرية تحت الاشجار الفارعة الخضراء .

قرب المخفر
ظل منقوب أخضر !
وجراح مزروعة !

في الحكاية (الحادثة) الثانية يقبض «العرس الليلي» ، اصحاب القمصان الخشنة » على زيد الياسمين ، بعد ان انكسرت قدمه وهو يتجه الى التلة ، حتى يقابـل الاعداء ، اللذين يستهدفونه .

حين انكسرت قدم الفارس
سال على التلة خيط احمر
وانتشرت في الدنيا رائحة الزعتر .

ونعرف ان الحادثة ، جرت لزيد الياسمين في عمان . واذ يسال اهل القرية عن رجل البيت الذي غادر ولم يرجع ، تجيبنا الاغنية الشعبية

« باروده يا مجوهرة شكالك وين
ـ شكالي ع عادنو سرى في الليل)
باروده يا مجوهرة شكالك راح
شكالي ع عادنو سرى مصباح) .

من وديان القرية المعتمة الى مخفر الامن ، تتوقف رحلة للفلسطيني ، وهو يسري بقسوة البطولة الى وطنه . لكن زيد الياسمين اذ يقبع في السجن ، فان ثورة شعبه تظل دائمة اللهب . تشتعل ا شياء وطنه وطنه جميعها باللهب .

لم يسأل احد ماذا صارت ...
الدهمة
في معصم « خضرة » !
(بعض رصاص ، ونشيد حماس ... وزوادة).

وكما « استسلم » جسد احد الابطال ، يهوي كف صاحب الصوت في الوادي ، مثقلة بالخضرة والموت ، تنقبض كف زيد الياسمين وتسقط هنا.

تنقبض الكف الممدودة
تسقط في قاع العالم
تتفتح عشبا بريا وصبايا
شعرا ورصاصا وحكايا .

●

الذين يمكن ان يتحدثوا ، عـن تأثيرات وقع فيها الشاعر من لوركـا الاسباني ، عليهم ان يحتفلوا بشاعـر يجهد في ان يعيد صياغة لوركا بقسمات فلسطينية . وعليهم ـ اذا كانوا قـد قراوا لوركا بلغة موطنه التي كتب بها ـ ان يكشفوا عن الصلة الحميمة بين تأثرات الشاعر وبشـه الاسر للاغنية الشعبية داخل جسم القصيدة . ان الاهم في هذا الموضوع هو مدى احتفـاظ الشاعر المتأثر بصوته ، ومدى تعبيرا عن شخصية له . فالتأثر والتأثير ، قانوان منذ كان الفن . فمن يدعي ان « وشم على ذراع خضرة » شعـر اسباني ؟ ومن يدعي ان وليد سيف يكرر شبيها له في شعر فلسطين؟

(م . سفيان)

قصيدتان

شعر : محمد القيسي

(الى ـ ي ـ حين كان وجه الوطن ، يبرق بالدم الايلولي في عمان .
وكنا نموت تعبدا ! .)

احتجاج شخصي

- ١ -

... وجهك هذا المساء
...لا على صفحه الذاكره
...ت موت السنابـل ،
جوع العصافير ،
...ت انك في لحم وقتي
وانك اكبر من خاطره .

- ٢ -

...ساءلت يا حبة القلب ،
كيف تمر الثواني
ويهدر نهر الدقائق ؟
ونحن بعيدان ، نعبر تيه المنافي
...لما نهب الحرائق !

- ٣ -

... سحاب النهار
ويبعد عن ناظري المراكب ؟
ويزحف في داخلي الليل ،
...ل كل الشموع ولا ،
التقي بك .. امضي
واحضن بين يدي الحقائب .

- ٤ -

لئن كان هذا زمان الاسى
وموت المواويل تحت
سياط الظهيره
فكيف لمن شاخ ان يشتهي
عناق الالى غيبوا
في طوايـا الحريق
وكيف تكون الطريق ؟

وما بيننا يـا اسيره
ركام من اللحم ، نهـر دم
من ضحايـا
واخفيت وجهي ،
هو البعـد يدنو
لعينيك هذي الصلاة ،
وهذي الاغاني الكسيره .

- ٥ -

الا انني اوجز الان ،
كل فصول الـروايه
فلـم يسدلوا بعـد
ستـار الختام

ولكن احس بان البطل
سيخدع قبل حلول الظلام
وها اننا يـا نيام
اصيح : حذار ، حذار .

١ - ١ - ١٩٧١

امور تتعلق بها خاصة

تدفق نهـر اغان ،
على شفتيك ، فاسندت
راسـي
واغفوت حينـا .
على شرفة الحلم ،
انصت ، (كنت حزينا)
فتابعت : ان المساء جميل
وهذا الهوى لو يدوم
فايقظت فـيّ الهموم
وكانت جدائل شعرك
بـين يدي ،
وفوق جبيني
تراتيل حزن ، وحقل سنابل
فدانيت وجهك ،
زخ رصاص .
على قارعات الطريق
بكل اتجـاه
وانت شبابيك جدراننا
تحت نـار الجنود
فسبع رؤوس تشب
بهـا النار ،
كانت تغني ليوم الخلاص .
وغالوك يـا مهرتي ،
ما انكسرت ولكن .. آه ،
وآه ،
وآه .

٢٦ - ٤ - ١٩٧١
ـ بيروت ـ

• خارجي مسافر .. وداخلي طريدة

اي ولا في داخلي اخضرار
لكنني كقيمة قدرها في صدرها
لا انثني ..
احمل هذا الكون في عيني ...
انقل النجوم من مدارها
وفوق جبهتك
اكتب بالاصابع المشتاقة
نهارك الجديد
التي على شفاهه السعيدة
شمسا من الجحيم والجليد
وابتدىء بخلق كل ما اعرفه
خالقة جديدة اسماؤها
الليل صار ظل ..
والياس فسحة
والارض مثل شجرة
علق عمري على اوراقها
سلمه الحياة للحياة
يا وطني : يا حيرتي البعيدة ... البعيدة
امشي اليك خارجي مسافر
وداخلي طريدة
ازرع من اصابعي سخرية
ولتوي في اضلعي سراج
يا ربع يا حمالة الهزيمة
لن تحفري عينيك فوق الماء
لم تصيري القادم الجريء
انا الذي يسمي الاسماء

وانت صيفتي التي سميتها الهواء
تفتتي ... تفتتي .. وانصهري تحديا
وانتحري في البحر واخرجي من قلبه عذراء
تلاحمي كالارض صبري غيمة وانحدري
شرياني الظمآن سوف يشربك
وفي دمك ...

سأغسل الخطيئة التي
تكاد ان تصير شرعتي
يا ربع يا حمالة السام
لا تزرعي يديك في النزيف
لانني آتيك حينما يحتفل اللهيب
بموته في قدمي
انا الذي ادخله فاقلني
وحينما ارحمه ...

سميته الطقس الذي في فمه يأتي الفرح
وها انا يا ربع يا حمالة السام
اتبعه ... الم فيه الضحك والالم
كي ابتدي مجيء الذي اريد للحياة
خبزي تشيح الرعد ..
وجه الضوء كلمتي
وبرقي فراشة بيضاء
. لا تحفري .. لا تحفري عينيك فوق الماء
فالقاع توامي ... ساشربك
وفي دمك ...
ساغسل الخطى وامتطي ..

البعيد والبعيد والبعيد
يا وطني يا حيرتي المستكبرة
لا تحمل الدموع في يديك
قوافل الامطار في دمي
مملوءة بالعصف والمغامرة . .

والجيئة المدمرة
يا ربع يا قاهرة المسافة
لن تقلعي التاريخ من جفونك
ولو شحذت الزمن المكشوف ...

والعصا وحلة المأتم
لانني رايت اني وطني
براعما يقظانة تنمو على العصور
عساكرا طويلة قاماتها
تضم في اذرعها الفصول
وانني يا ربع اذ فرحت
سميت هذا الوقت اسطوانة
وانت صرت فيه كالنعامة
معلقة كجذع نخلة
حزينة كليلكة
قائلة كمولد القصيدة
يا وطني يا حيرتي البعيدة البعيدة
امشي اليك خارجي مسافر
وداخلي طريدة

عادل اديب آغا
حلب

« الثقافة العربية ٧١ »

صدر الاسبوع الماضي ، العدد الثاني من مجلة « الثقافة العربية » في عهدها الجديد (حزيران ١٩٧١) . والعدد حول « الحركة الطلابية والثورة » . ومن مواضيعه : لقاء مع ليستر قمة . نص خطاب سري القاه شارل مالك في اجتماع مغلق لمجلس شيوخ الجامعة الاميركية .

ندوة حركة الوعي . الانعزالية الشابة والولادة الطلابية الجديدة . مشاكل التعليم ما قبل الجامعي في لبنان . مقابلة مع طارق علي القائد الطلابي الباكستاني الاصل . كيف حقق طلبة العرب وحدة النضال مع الحركة الشعبية .

مقال لارنست مندل حول النظرية والممارسة للحركة الطلابية الثورية . الحركات الطلابية في اميركا اللاتينية .

وفي العدد رسالة من تركيا تشرح التحالف بين الحركة الطلابية ومنظمة « جيش التحرير التركي » . وشهادة للمناضل « ابو صالح » عن حملة ايلول ضد المقاومة الفلسطينية . وبهذا العدد تكون مجلة « الثقافة العربية » قد حققت مساهمة جدية وفعالة في اثراء فكر الحركـة الطلابية ، الثورية العربية .

صدر حديثا عن :
دار الطليعة
■ الماركسية والايديولوجيا
■ قضايا المادية التاريخية
■ ماركسية ماوتسي تونغ
■ على خطى كارل ماركس
■ مرحلة الانتقال الى الاشتراكية
■ الطريق الى الديمقراطية
■ الماركسية والدولة الصهيونية
■ حول التناقض والممارسة في الثورة الفلسطينية
■ على طريق الثورة الفلسطينية
■ بلادنا فلسطين ، الديار النابلسية (الجزء الاول والثاني) مصطفى مراد الدباغ
■ المقاومة العربية في فلسطين (١٩١٧ - ١٩٤٨) ناجي علوش
■ مناقشات حول الثورة الفلسطينية (جمعها وقدم لها) ناجي علوش
■ الحركة الصهيونية واسرائيل
■ حملة ايلول والمقاومة الفلسطينية
■ الثورة الفلسطينية أبعادها وقضاياها ناجي علوش
■ من الذي سينتصر في فيتنام
■ حرب الأنصار
■ الانتفاضة المسلحة
■ التجربة المسلحة في البيرو
■ الاستراتيجية وتاريخها في العالم
■ ذكرى الأيام الماضية (قصص قصيرة)
■ النوافذ التي تفتحها القنابل (شعر) ناجي علوش
دار الطليعة ص.ب ١٨١٣ - بيروت - لبنان